سوسيولوجيا التحضر: مقاربة نظرية تحليلية

Sociology of urbanization: an analytical theory approach

أ.مبارك ايت خليفة، جامعة محمد الخامس- المغرب

Ait khalifa Mbark

University of Mohammed V Morocco

ملخص: مما لا شك فيه أن البحث والحديث عن التمدن والتحضر من الصعوبة بما كان، فهو من المواضيع التي لا تشيخ معرفيا، فبقدر ما أنه يُعد من المواضيع الكلاسكية في الدراسات السوسيولوجية عامة، إلا أنه يعتبر كذلك من بين المواضيع التي تفرض نفسها اليوم، الأمر الذي لم يمنعنا من معالجته الدائمة وبمقاربات مختلفة، فالمدينة بصفة عامة مجالا خضبا لدراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة، وباعتبارنا اليوم أصبحنا نعيش بشكل كبير داخل المدن، فقد دعت الضرورة إلى مقاربة ما تفرزه الحياة المدينية، وأن نلفت انتباه الباحثين حول القضايا التي تهم حياة المدينة. لذلك فإننا نصبو من خلال هذه الورقة، إلى محاولة لفت انتباه الباحثين وخاصة في مجال علم الاجتماع والجغرافيا، لما تعيشه المدينة من تحديات، وذلك بطبيعة الحال من خلال إعادة إحياء المقاربات النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة التي قاربت الموضوع ، محاولين قدر الإمكان مسألة منطلقاتها وأهم نتائجها على مستوى الفكر السوسيولوجي.

الكلمات المفتاحية: التحضر، السوسيولوجيا، الحضرية، التمدن، المدينة.

Abstract: There is no doubt that the research and talk about urbanization and urbanization of the difficulty of what it was, is one of the topics that do not age identically, as much as it is a classic topics in sociological studies in general, but it is also among the subjects that impose itself today, which did not It prevents us from dealing with the permanent and different approaches, the city in general a field to study the various social phenomena, and today we are living in a large city, It was necessary to approach what urban life produces, and to draw the attention of researchers to issues of concern to the city's life. Therefore, through this paper, we seek to draw the attention of researchers, especially in the field of sociology and geography, to the challenges facing the city, of course by reviving the classical and contemporary sociological approaches that approached the subject, trying as much as possible the question of its principles and its most important results. Level of sociological thought.

Keywords, urbanization, sociology, Urban, Urban, city.

في سبيل التقديم:

إن الاهتمام بالاستقرار البشري داخل المدينة كان محاولة قديمة قدم الحضارات الإنسانية، حيث ظهر مع الفلاسفة والمؤرخين ورجالات الهندسة والتخطيط، وذلك واضح في بعض كتابات الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو والقديس أوغسطين. ليتأكد هذا الاهتمام بوضوح خلال سنوات العصر الوسيط مع أعمال "نيكولا ماكيافلي(N, Makiavili) إلى أن جاء "جون جاك روسو" في نظريته الاجتماعية القائمة على التعاقد والارتباط والتوحد ما بين المجتمع والمدينة. ويعتبر كتاب العالم الإيطالي "جوفاني بوتيرو"(G.Boutirou) الذي نشر سنة 1598 تحت عنوان"عظمة المدن" أول كتاب يصدر عن المدينة، رغم بعض الانتقادات التي وجهت له حول عدم تخصص الباحث في المجال، لذلك فلا يمكن القول إنه أرسى دعائم علم جديد وقائم عن المدينة(السيد عبد العاطي، 1993، ص18).

بالنسبة للتهميش وجب تصحيح من الناحية الشكلية من حيث الفراغات بين الفواصل والكلمات والأصح كالتالي المدينة(السيد عبد العاطي، 1993، ص18).

ومنذ بداية القرن السابع عشر سيزداد الاهتمام العلمي بالمدينة وخاصة من قبل العلوم الاجتماعية كالإحصاء وعلم السكان والإدارة والتخطيط والإصلاح الاجتماعي...الخ، الأمر الذي أدى إلى تراكم وتزايد المعرفة حولها. غير أن الملاحظ لذلك يجد أن معظم الميادين والحقول المعرفية التي كانت تهتم بالمدينة في العصور السابقة؛ كانت بعيدة نوعا ما عن دراسة الحياة الاجتماعية داخلها بشكل شامل للوقوف على مدى ملاءمتها للفكر والثقافة الإنسانيتين وكذا لنظامه الاجتماعي، من خلال رصد مدى تلاؤم واندماج الإنسان معها.

لذلك أن صح التعبير يمكن القول بأن المدينة كمجال أخذت ومنذ زمن بعيد اهتمام رواد الفكر باختلاف أشكاله، سواء السياسي أو الجغرافي...الخ، لكن يبقى هذا الاهتمام اهتمام أولي وسطحي، بل يرتبط بالمحددات السوسيوثقافية لمفكري تلك اللحظات، لذلك فإن المتأمل لتاريخ علم الاجتماع مثلا سيجد بأن المدينة والتحضر بصفة خاصة، شغل بال الكثير من رواد هذا العلم منذ بدايته إلى يوم الناس هذا، وإن دل ذلك على شيء، إنما يدل على أهمية المدينة باعتبارها مجالا فزيقيا وثقافيا للإنسان الذي يعيش فيها، فالمجتمعات بمثابة مرآة تنعكس عليها المدن التي يعمرونها، والعكس صحيح(أحمد كوال، 2010، ص165)؛ أو بمعنى أخر فالمجتمع صورة اجتماعية تعكس ما يجول في المدينة، والمدينة خلاصة سوسيومجالية تعكس ما يعرفه المجتمع. فنحن إذن أمام علاقة جدلية بين متغيرين أساسين، هما المدينة كمجال، وسكان المدينة كفاعلين. لذلك فإن مقالنا هذا سيحاول قدر الإمكان تشخيص هذه العلاقة الجدلية واقفا قدر الإمكان على أهم ما خلفه التراث السوسيولوجي في هذا المجال، وذلك بطبيعة الحال عبر مساءلته قدر الإمكان.

1: المدينة وصراع الثنائيات:

منذ ظهور علم الاجتماع في الساحة العلمية كعلم قائم الذات، انصب اهتمام علمائه إلى جانب علماء الأنثربولوجية، منذ الوهلة الأولى على الظواهر الحضرية ولو بشكل متفاوت. وذلك نظرا لما كان يعيشه المجتمع الأوربي من تطورات حضرية وديموغرافية مهمة، وما صاحبها من مشاكل اجتماعية وثقافية. فقد فسح علم الاجتماع الأوروبي مجالا واسعا للدراسات الحضرية

كجزء متكامل ومهم منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث قدَم "فوشيل دي كولا نج" (F ;De colenge) تحليلا معمقا للعلاقة بين المؤسسات المدنية والدينية في اليونان والرومان، وفي الوقت نفسه قدم"فريدريك انجلز" (F.Engels) تقريرا مفصلا عن أحوال المعيشة التي تعرفها الطبقة العاملة في مانشستر بإنجلترا(السيد عبد العاطي، 1993، ص41)، حيث أبدى في ذلك إعجابه بمدينة لندن، وذهب في ذلك إلى أنها تمثل "عظمة إنجلترا" وفي الوقت نفسه يؤكد على استيائه من الظروف التي تعيش في ظلها العمالة البريطانية(السيد الحسيني، 2000، ص40).

ومع أواخر القرن التاسع عشر ستعرف الخزانة السوسيولوجية أعمالا مهمة من لدن عدد كبير من الباحثين في المجال وخاصة حول الظاهرة الحضرية، حيث نشر "تشارلز بوت"(Ch .Bout) بالاشتراك مع "بيرك بوتر"(B.Bouter) دراستهما التي كانت على شكل سبعة عشر مجلدا عن حياة وعمل الناس في لندن، وكان ذلك بمثابة مسح اجتماعي للفقر بتلك المدينة وأحيائها. وقد استطاع "بوت" أن يجمع العديد من المعطيات باستخدام السجلات الرسمية والدراسات المسحية، حيث سجل مختلف الظروف الاجتماعية التي أحاطت بالمدينة موضحا مدى قوة الفقر لدى سكان المدينة، وقد كان لهذا العمل المهم تأثيرا كبيرا على كل من يهتم بعلم الاجتماع الحضري وخصوصا رجالات السياسية العامة في لندن(السيد عبد العاطي، 1993، ص155)، ليتضح لنا بشكل كبير أن الأبعاد المتحكمة في مثل هذه الدراسات غالبا ما تكون أبعادا أيديولوجية، تختلف إلى حد كبير مع غاية العلم الذي لا يصبو إلى غير المعرفة لذاتها.

1- 1 ابن خلدون: صراع البداوة والحاضرة

تدين الدراسات السوسيولوجية حول المدينة والتمدن، إلى أعمال روادها الأوائل وخاصة عالم الاجتماع العربي "عبد الرحمان بن خلدون"، الذي يُدرجه الكثير من الباحثين ضمن سلسلة الرواد الأوائل لعلم الاجتماع. رغم أنه عاش في القرن الرابع عشر، إلا أن أعماله لازالت تعيش إلى يوم الناس هذا؛ حيث أثرت قبل ذلك في أعمال العديد من علماء الاجتماع الغربيون خلال سنوات القرن التاسع عشر، وذلك بفضل مقدمته الشهيرة(ابن خلدون عبد الرحمان، 1996، ص133)، حيث امتاز فيها بن خلدون بميزتين أساسيتين لم يماثله فيهما أحد من الباحثين الاجتماعين في جميع الأمم: أولاهما أنه كان أول باحث في العالم الذي درس المجتمع دراسة واقعية غير "وعظية"، والميزة الثانية أنه كان ولازال أعظم من درس المجتمع العربي على أساس طبيعة تكوينه الخاص، أي على أساس ما جرى فيه من صراع بين حياة البداوة والحاضرة(الوردي علي، دس، ص21)، وفي ذلك يميز" بن خلدون"ما بين نمطي العيش:(البداوة والحضر)، حيث يقوم عيش الفئة الأولى-البداوة- على الضروري من المعاش، أما الفئة الثانية-الحضر- التي هي نتاج لعملية التحول من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية، فهو يقوم على الدعة والترف. حيث كتب "بن خلدون" فصولا منظمة وعديدة، خاصة في الباب الثاني من المقدمة المذكورة، والمعنون بالعمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل، وما يعرض في ذلك من الأحوال، حيث أرجع بذلك "بن خلدون" الفروق بين البدو والحضر إلى الفروق في مصادر الإنتاج والمهنة أساسا. ويتضح أنه صنف أشكال الاستيطان البشري إلى نموذجين على أساس وجوه المعاش

والكسب، حيث أكد بأن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، كما أثبت بأن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها(الوردي علي، دس، ص140).

هكذا فإنه يمكن اعتبار "ابن خلدون" من أهم المفكرين السوسيولوجين العرب الذين قدموا لنا تصورا متكاملا للتميز بين الحضر والبداوة، بل يمكن لنا أن نصنفه ضمن المفكرين الذين استطاعوا صياغة نموذج للتفرقة بين الريفية والحضرية وفق معايير واضحة، والتي من خلالها يمكن لنا أن نحدد خصائص الثقافة الحضرية وخصائص الثقافة البدوية(الفيضل العيرج، 2009، ص54).

تبين لنا إذن أن إسهامات ابن خلدون في التأسيس لدراسات علمية تهتم بموضوع التمدن إسهامات جد مهمة، وخاصة إذا علمنا أن ابن خلدون وكما سبق الاشارة درس المجتمع العربي على أساس ثنائتي البادية والحاضرة والصراع القائم بينهما، بل لا أحد ينكر أن ابن خلدون وخاصة في كتابه "المقدمة"، لعب دورا أساسيا في التقعيد لعلم الاجتماع الذي سيتأسس فيما بعد في أوروبا، حيث سيعمل مفكريها على وضع قواعد منهجية لعلم قائم الذات، ليبقى الفكر الخلدوني فكرا مهما لفهم البناء الحضري وخاصة للمجتمعات العربية التي لازالت تعيش اليوم ذلك الصراع ما بين حياتي البادية والمدينة، وإن تبدى ذلك في أشكال أخرى غير ظاهرة.

2-1 فرديناند توينز: المجتمع المحلي والرابطة:

لقد شكل فكر "بن خلدون" بحق أحد أعمدة وركائز الفكر السوسيولوجي بشكل عام، وحول أنماط عيش الإنسان العربي في تلك الفترة بشكل خاص. ويتجلى ذلك بالأساس في الزخم المعرفي الذي يحويه، ومن معطيات مهمة عن أشكال الحياة البدوية والحضرية، والتي لازال صيتها ساطعا لدى العديد من الدراسات الاجتماعية الدارسة لأنماط الحياة وأشكال التحول من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية. ليدخل بعد ذلك علم الاجتماع -ولو نسبيا- في حالة من الجمود والركود التي سيتم تجاوزها مع أواخر القرن التاسع عشر، حيث سيتطور علم الاجتماع وستتوسع بذلك اهتماماته ومجالاته، حيث سيظهر عالم اجتماع ألماني شهير يدعى "فرديناند توينز Ferdinand Tönnies" الذي يعتبر كذلك من أول الباحثين السوسيولوجين الذين عالجوا الظاهرة الحضرية من خلال كتابه "المجتمع المحلي والرابطة، حيث استطاع من خلاله "توينز" أن يقدم لنا وصفا نموذجيا لنوعين من الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية؛ أولهما : هو الذي أطلق عليه اسم "المجتمع المحلي" والثاني اسم "الرابطة أو المجتمع"، حيث يتميز الأول – المجتمع المحلي- بضمه لكل العلاقات التي تنتج عن العاطفة والعادات والتقاليد وكل الممارسات الأولية، حيث تكون العلاقة القائمة ما بين أفراد المجتمع قائمة على القرابة والعلاقات الجوارية، المبنية كذلك على التنظيمات الدينية(علياء حبيب واخرون، 2008، ص139)، في حين يتميز الثاني-الرابطة أو المجتمع- بالتعاقد والعلاقات غير الشخصية والقائمة على المصلحة وسيطرة الفردية والعقلانية في التفاعل. لذلك "فتوينز" يرى بأن المجتمع أو الرابطة؛ تعني كل الأشياء غير الموجودة في المجتمع المحلي البسيط في تنظيمه، أي هي كل المظاهر السلبية للحياة الاجتماعية التي يعاصرها الإنسان في المجتمع.

كما اعتبر عالم الاجتماع "توينز" أن العلاقات المتبادلة بين الأشخاص سوف تتعرض لبعض المعاناة في المجتمع الحديث، فالمجتمع الريفي-البدوي، تحكمه علاقات واضحة، والناس فيه يعرف كل منهم الأخر معرفة كاملة، بينما في المجتمع الحضري يكون فيه الناس غرباء عن بعضهم. وحتى اللذين يعملون مع بعضهم لا يعرفون شيئا عن غيرهم من العمال الذين يعملون معهم، فهم لا يعرفون شيئا عن عائلاتهم أو دينهم أو ثقافتهم(لوجلي صالح الزوي، 1999، ص54).

عموما إن عمل "توينز" هذا يعتبر بحق من أهم الأعمال السوسيولوجيا التي حاولت أن تُغني البحث والنقاش حول الظاهرة الحضرية، فقيمته النظرية تكمن أساسا في ظهور وسيل العديد من النقاشات في علم الاجتماع بعد طرحه لنظريته الاجتماعية، وخصوصا حول العلاقة ما بين المجتمع الريفي والحضري، مما أدى بالكثير من الباحثين إلى أخذ ثنائية "توينز" المذكورة وتطبيقها على أرض الواقع؛ حيث اعتبروا بأن المجتمع المحلي نموذجا ينطبق على العلاقات الاجتماعية في المناطق الريفية، في حين أن المجتمع أو الرابطة تنطبق على الحياة الحضرية(علياء حبيب وآخرون، 2008، ص44).

إن عمل "توينز" هذا بحق من بين أهم الانجازات في تاريخ علم الاجتماع، حيث شكل عمله هذا إسهاما جد مهما في التقعيد لأهمية الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية بصفة عامة، وداخل المجالات الحضرية بصفة خاصة، لكن رغم هذه الأهمية المذكورة إلا أن عمل توينز هذا لم يحظى من طرف علماء الاجتماع اليوم وخاصة العرب بأهمية قصوى مقارنة مع رواد الفكر السوسيولوجي الفرنسي، ويمكن ربما إرجاع ذلك إلى الخلفية الفكرية الفرنكوفونية التي تحكم الباحثين في علم الاجتماع بالمجالات العربية وخاصة في شمال إفريقيا. لكن يبقى هذا الاسهام جد مهم رغم أنه لايخرج من التقليد السابق للفكر السوسيولوجي الذي يُرهن الحياة في صراع بين ثنائيتين، حياة الريف التي تقوم فيها العلاقات الاجتماعية على البساطة والتكامل، وحياة الحضر التي تقوم فيها الحياة على التنافر والتباعد، إلى درجة أن هذه الثنائيات ستصير فيما بعد تحدد مسار الفكر السوسيولوجي، مع العلم بأنه اليوم هناك تداخل جد كبير ما بين حياتي الريف والحضر، إلى درجة نجد فيها صعوبة كبيرة للتميز بينها، وخاصة مع إجتياح ظاهرة العولمة اليوم لكل بقاع العالم، فأصبح هذا الأخير مجرد قرية صغيرة.

3-1 ايميل دروكايم: التضامن الآلي والتضامن العضوي:

بالموازاة مع ما سبق، فعندما تُذكر ثنائية "توينز"؛ المجتمع المحلي:(البساطة والعاطفة والتكاملية) أو الرابطة: (التعاقد، المصلحة..)، فإن بالنا يستحضر مباشرة أعمال أحد السوسولوجين الفرنسين الكبار، الذي تطلق عليه صفة الأب الروحي لهذا العلم وهو "إيميل دوركايم"(E .Durkheim) الذي عاش وشاهد التحول الحضري الذي وقع خلال القرن التاسع عشر، فقدم في ذلك نموذجا ثنائيا للحياة الاجتماعية. ففي دراسته حول العلاقات الاجتماعية بشكل عام، يتحدث "دوركايم" عن ثنائية التضامن الآلي والتضامن العضوي. فقد وصف "دوركايم" الانصياع التلقائي من جانب أعضاء المجتمع التقليدي للمعايير والقيم والعلاقات الاجتماعية، فأطلق عليه التضامن الآلي، الذي هو تضامن مبني على التشابه والتماثل حيث لا يختلف الأفراد

عن بعضهم البعض، وحيث يتشابهون لأنهم يملكون المشاعر والأفكار نفسها والمقدس نفسه. إن حالة التضامن الآلي أو الميكانيكي هذه؛ هي حالة المجتمعات "البدائية" التي تتميز بالاتي: كل فرد منها هو الآخرون، وفي مشاعر وأفكار كل فرد تهيمن مشاعر وأفكار الآخرين(المجتمع موجود على قاعدة التشابه والانسجام). في حين تحدث عن التضامن العضوي باعتباره يتجسد داخل النسيج المعقد للعلاقات الاجتماعية في المجتمع الحديث، هذا النوع من التضامن يقوم على التوحيد المنسجم للجماعة الذي يتم على قاعدة تمايز الأفراد والفروقات بينهم. ولشرح نظريته قارن دوركايم بين المجتمع في حالة التضامن العضوي والجسم البشري الحي، الذي يحوي أعضاء مختلفة، يقوم كل واحد منها بوظيفة ودور معينين. وأما مجتمعات هذا التضامن فهي المجتمعات المعاصرة أي مجتمعات تقسيم العمل وتمايز المهن وتعدد النشاطات، وفي هذه المجتمعات يعي الفرد وجوده وشخصيته(عبد الله ابراهيم، 2001، ص75). ويزعم في ذلك "دوركايم" بأن أساس الانتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي هو تقسيم العمل الذي يعتمد فيه كل عامل للقيام بعمله على عمل الآخرين(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص75). حيث قدم لذلك تفسيرا واضحا اعتبر فيه أن المجتمع عندما يكون عدد أفراده قلة وموزعين على مساحة شاسعة، ليس في حاجة إلى تقسيم العمل؛ لأن العائلات والجماعات يمكن أن تعيش على الموارد نفسها. لكن عندما يزداد عدد السكان ويصبحون أكثر كثافة، لا يمكن أن يستمروا في العيش إلا ضمن تقسيم عمل وتخصص مهني. حيث استدل بنظرية "الصراع من أجل البقاء"الداروينية"، بمعنى أن ازدياد الكثافة يؤدي إلى ازدياد الصراع من أجل البقاء، وفي هذه الحالة يكون التمايز المجتمعي وتقسيم العمل هو الحل السليم(la solution pacifique)، بدل أن يقضي الأفراد على بعضهم البعض كما يحصل في عالم الحيوانات(عبد الله إبراهيم، 2001، ص75).

ومنه فقد وجد "دوركايم" في تقسيم العمل كعامل مميز للمجتمعات ذات التضامن العضوي ومفسرا أكبر لإمكانية توفير قدر أكبر من الحرية الفردية لكل سكان المجتمع، مما قد يسبب في مجموعة من المشاكل والظواهر وخصوصا داخل المدينة؛ مثل اللاشخصية أو الاغتراب وفقدان المعايير والصراع...، إلا أنه مال إلى تأكيد التفوق الكبير والمطلق للتضامن العضوي على التضامن الآلي؛ ذلك لأن الضغوط التي يخضع لها الأفراد داخل المدينة الحديثة -على حد تعبيره- أقل ثقلا من تلك التي تُفرض عليه عندما يكون المجتمع مسيطرا على حياته بأكملها، كما هو الحال في المجتمع الريفي الذي يتميز بالتضامن الآلي، لذا فالتضامن العضوي يفسح مجالا أوسع وأكبر للمبادرة الفردية والحرية بشكل واسع للأفراد(السيد عبد العاطي، 1993، ص59).

إن عمل دور كايم هذا لا يخرج عن دائرة الأعمال السوسيولوجية التي تصنف حياة المدينة والحضر بمعزل عن حياة الريف والبادية، وقد كان مقياس العلاقات الاجتماعية معيارا لذلك، حيث اعتبر أن الحياة الحضرية تقوم على التضامن العضوي وتقسيم العمل بينما حياة الريف تتميز بالتضامن الآلي القائم على البساطة والتكامل، إن عمل دور كايم هذا بحق يعتبر عملا مهما وخاصة إذا علمنا بأن الاهتمام بموضوع التحضر إلى حد زمنه، لم يكن بالموضوع الأول مقارنة مع العلاقات الاجتماعية التي حظيت بمنصب وافر من الدراسات السوسيولوجية، لكن لا أحد

اليوم يمكن له أن ينكر إسهامات دور كايم في التأسيس لموضوع التحضر والتمدن، فرغم أن النمو الحضري والديمغرافي في زمن دوركايم ليس كشكله اليوم، ولكن تبقى إسهاماته جد مهمة وخاصة على المستوى المنهجي كما النظري.

4-1 جورج زيمل: من العلاقات التضامنية إلى العلاقات الفردانية:

من جهة أخرى تعتبر دراسة السوسيولوجي والفيلسوف الألماني "جورج زيمل"(G .Simmel)؛ من أهم الأعمال التي ستؤثر بشكل ملحوظ في مسار السوسيولوجيا بشكل عام وفي دراسة المدينة بالخصوص. ويعتبر مقاله الشهير، المتربول والحياة العقلية: le metropole et mentalities، والذي نُشر خلال سنة 1903، من أهم الأعمال المنشورة عن المدينة والتحضر، حيث استطاع من خلاله "جورج زيمل" أن يقدم لنا صورة حية عن المدينة عبر تحليل سوسيولوجي لها، حيث كانت الفكرة الأساسية في ذلك المقال هي أن الشخصية تتعلم وتُؤقلم نفسها مع حياة المدينة، أي تعمل على تكييفها معها. ومن خلال هذا المنطلق فسر "جورج زيمل" خصائص الحياة في المدينة على أنها استجابة ايجابية من سكان المدينة لإدارة ما يواجههم من مشاكل وتعقيدات داخلها، ومن هنا كان تطوير العلاقات غير الشخصية وانقسام الحياة إلى عوالم منفصلة.

تأسيسا على ما سبق يمكن القول ومن خلال ما جاء به "جورج زيمل"، بأن الحياة المدينية تتميز بالعديد من الخصائص؛ وذلك من قبيل ما أسماه بتكثيف الإثارة النفسية والعصبية التي ينبغي على ساكن المدينة أن يتغلب عليها، لأن المدينة دائما في مهاجمة الفرد بأشكال مختلفة من الأصوات والألوان والأشكال المتباينة، ولكي يستطيع الفرد السيطرة على الموقف عليه أن يتعلم أو يكتسب القدرة على التميز الدقيق؛ بحيث يستطيع أن يتماشى مع ما هو هام ويبتعد عن ما هو غير ذلك، وبذلك يصبح ساكن المدينة ومع مرور الوقت أكثر حنكة وعقلانية من ساكن الريف.

عموما فإن عمل "زيمل" هذا من أهم الأعمال داخل حقل السوسيولوجيا التي عالجت المدينة بشكل كبير ومهم، رغم أنها لم تتعمق في أعماقها للوقوف على خباياها بشكل كبير، حيث سيؤثره توجهه الفكري فيما بعد في أعمال رواد مدرسة شيكاغو التي سنتحدث عنها فيما بعد. غير أن معظم أعمال"جورج زيمل" ارتكزت على الثنائيتين اللتان أشرنا إليهما سابقا، واللتان تحولتا إلى منطق ميتافيزيقي لدى علماء الاجتماع فيما بعد. وفي هذا الصدد يعتبر "توم بوتومور"(T.Bottomore) أن منطق الثنائيات الذي يشكل معيارا تصنيفيا كيفيا بالنسبة لأجيال من علماء الاجتماع هو منطق عاجز عن استيعاب مختلف التنظيمات الاجتماعية، كما هو عاجز عن فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تختزل في المقارنة بين مجتمع تكون فيه السيادة للجماعة على الفرد وبين مجتمعات أخرى(الجوهري محمد، 1978، ص14). ومن خلال ذلك يقرر "توم بوتمور" أنه ما يمكن ملاحظته على هذه الثنائيات؛ هو قصورها عن استيعاب مختلف أنماط المجتمعات البشرية، التي توجد بالفعل أو التي وجدت من قبل في مراحل تاريخية معينة(علياء وآخرون، 2008، ص144). وبالرغم من الأهمية النظرية التي قد تنطوي عليها هذه الثنائيات، إلا أن كثيرا من دارسي التمدن والتحضر وما يصاحبه من مشاكل وعلى رأسها ظاهرة التكيف والاندماج، اعتبروها أنها لا تمثل سوى وسيلة مبدئية يصعب الاعتماد عليها كليا في

التميز بين حياة البداوة وحياة المدينة، لأنها تغفل عاملا هاما من عوامل تشكيل هذه المجتمعات الذي هو التغير. وفي هذا ذهب كل من "سوركن وزيمرمان"Sorokin et Zimmerman إلى أن التحول من المجتمع الريفي أو البدوي الخالص إلى مجتمع حضري مديني لا يتم فجأة، ولكنه يحدث تدريجيا(...) فليس ثمة خط واحد ومطلق يستطيع أن يكشف لنا عن وجود فرق حاد بين المجتمع الريفي أو البدوي والمجتمع الحضري أو المديني(علياء وآخرون، 2008، ص146).

من خلال كل ما سبق يمكن القول بأننا أمام مجموعة من المعطيات والتوجهات السوسيولوجية المهمة في تفسير وفهم الظاهرة الحضرية وما تفرزه من مشاكل، حيث تم تفسير المدينة والحياة داخلها على أنها نتاج لتطور طويل وحتمي للمجتمع، وفق صيرورة تاريخية متضاربة أحيانا أو متكاملة أحيانا أخرى في أحداثها؛ فمن البساطة إلى التعقيد، أو العلاقات التضامنية العاطفية إلى العلاقات العقلانية والنفعية، ويبدو كأننا أمام تقدم تاريخي للمجتمعات يهدف إلى تحقيق التقدم والتطور نحو الأمام، حيث يؤسس نمط لعلاقات اجتماعية على حساب نمط أخر، مما يجعلنا نشعر بأن هذا التقدم محكم بمجموعة من المحددات الاجتماعية والثقافية التي بدورها يصيبها حدث التقدم والتطور.

2. ماكس فيبر" قراءة أخرى للمدينة:

في اتجاه مخالف تماما للتصورات التي سبقت، يرى عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" (M.Weber) بأن التطور التاريخي لا يعني بالضرورة تحقيق التقدم(السيد عبد العاطي، 1993، ص41). لذلك ففي الوقت الذي جاءت فيه نظريات كل من "دوركايم" و"زيمل" لتحليل المدينة بطريقة مجردة كما أنها لو كانت قراءة عامة لما لاحظاه، جاء "فيبر" مؤكدا على عدم صلاحية وكفاءة هذه النظريات للوصول إلى نموذج مثالي للمدينة على حد تعبيره. لذلك استحضر "فيبر" عنصر التاريخ للوقوف على مختلف المدن الحقيقية وخلال مختلف الأزمنة المتفاوتة. ولكي يوضح مدخله النظري في دراسة المدينة؛ كتب مقاله الشهير تحت عنوان"المدينة"، والذي نُشر لأول مرة سنة1921 بعد وفاته، حيث قام فيه بقراءة مسحية للمدن التاريخية الأوروبية والشرق الأوسطية، ومقارنتها بما عرفه عن المدن التاريخية في كل من الهند والصين. ومن خلال مقارنته المنهجية هذه خرج "ماكس فيبر" بأنه من مميزات المدينة؛ هو أن تتكون من مجموعة كبيرة من المساكن، وتبنى المنازل فيها عادة عن قرب بعضها البعض، فيكون الحائط لصيق بالأخر، أي أن المدينة مكان يتميز بالمساكن الكثيفة، مشكّلة نوعا من المستوطنة الشديدة الازدحام إلى درجة يضعف فيها التعارف المتبادل بين الأشخاص القاطنين بها(السيد رضوان، 1976، ص8)، زد على ذلك ضرورة وضوح وظيفتها الاقتصادية. وبالموازاة مع ذلك فإن نظرة ماكس فيبر إلى المدينة يتحكم فيها بعدين أساسين هما:

البعد الاقتصادي: حيث يعتبر فيه المدينة كوحدة اقتصادية تُنتج العديد من السلع والتبادلات التجارية والخدماتية وغيرها، بمعنى أخر أن ثمة منطقا اقتصاديا عقلانيا هو الذي يتحكم في المدينة أكثر مما هو منطق يرتبط بشيء أخر، أي أننا هنا نتحدث عن المدينة في معناها الاقتصادي للكلمة، بحيث توفر للناس جميع الحاجيات الاقتصادية من سوق محلي وسلع وخدمات...الخ.

البعد السياسي: إن المدينة حسب "ماكس فيبر" هي أيضا وحدة سياسية توجد في تفاعل دائم مع الجانب الاقتصادي من خلال تنظيم التبادل والإنتاج. إن المدينة باعتبارها وحدة سياسية تتوفر على استقلالية ترابية وإدارية، كما تتميز بنوع من التنافس على السلطة، من خلال رهانات الفاعلين السياسيين. وفي هذه النقطة بالذات ذهب "ماكس فيبر" إلى الإقرار بأن هذه الخصائص الأساسية للمدينة -النموذج المثالي- التي عرضنا بعضه، لا توجد في المدن الحديثة، وخاصة بعد ظهور مفهوم الدولة خلال القرن السابع عشر، الذي أدى بالمدن إلى فقدان استقلالها الذاتي، عسكريا، وسياسيا، وتشريعيا، وكذا بفعل توحد سكانها مع وحدات أخرى في المجتمع كالدولة والأمة. و السبب الرئيسي حسب "فيبر" في فشل المدن الحديثة؛ يتمثل في إتباعها لعقلانيات متطرفة، ومبالغ فيها، واعتمادها على الرأسمالية، التي تؤكد على مبدأ الربح والمنفعة كدافع وحيد للحياة(السيد عبد العاطي، 1993، ص47).

هكذا استطاع "ماكس فيبر" أن يقدم لنا تصوره النظري حول المدينة، مستحضرا في ذلك بعدا تاريخيا. وقد كان من الدوافع الأساسية لعلم الاجتماع "الفيبري"؛ هو محاولة مواجهة أو إعادة صياغة ما قدمه "كارل ماركس"، (K .Marx) من إطار نظري، الذي حاول فيه - ماركس- استنتاج تفسيرات للظواهر الاجتماعية، من خلال تحليل وسائل الإنتاج. إلا أن "فيبر" وبصورة مغايرة، أوضح من خلال ما قدمه؛ أن التغيرات في الأساس الاقتصادي للمجتمع -رغم أهميته-؛ لا يمكن أن يُفسر أو يحدد التغيرات التي تحْدُث في البناء والتنظيم الاجتماعي(محمد علي مقلد، 2008، ص53). لذلك يؤكد على الاستقلال الذاتي، والقدرة المستقلة على التطور، في مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية، التي يميل بعض الماركسيين إلى رؤيتها، على أنها تعبر عن بناءات فوقية تابعة للسيطرة الاقتصادية. لذلك يؤكد "فيبر" على دور الفاعل الفردي داخل النظام الاجتماعي.

3: مدرسة شيكاغو رؤية جديدة للظاهرة الحضرية:

إن أهم سؤال معرفي ميداني طرُح في "مدرسة شيكاغو"؛ سؤال يتعلق بالتغير والتكيف، وخاصة تكيف واندماج المهاجرين. لكن قبل الغوص في أعماق مدرسة شيكاغو من خلال أعمالها النظرية والميدانية، يجب الإشارة أولا إلى أننا هنا لسنا بصدد الحديث عن تاريخ مدرسة شيكاغو ولا ندَّعي بأننا سنقوم بالإلمام بجميع توجهاتها النظرية. هدفنا الأساس هنا هو تقديم صورة عامة عنها؛ باعتبارها أهم المدارس التي قدمت لنا زخما معرفيا نظريا وميدانيا حول المدينة وما تعرفه من ظواهر بشكل عام.

على الرغم من أن الاهتمام الكبير الذي أولاه علماء الاجتماع في أوربا للظاهرة الحضرية، إلا أن ما قدموه من أعمال كان يفتقر إلى الوحدة النظرية والتجربة الميدانية كما أوضحنا سابقا، خاصة وأن التوجهات والمداخل النظرية فيه كانت ذات بعد تفسيري فلسفي إلى حد كبير، لذلك يُعتبر ظهور مدرسة شيكاغو بمثابة ثورة علمية معرفية في تاريخ السوسيولوجيا والأنثربولوجيا بشكل عام، وذلك بنزوع باحثيها إلى إجراء مجموعة من البحوث الميدانية حول المشاكل المتنوعة التي كانت مدينة شيكاغو مسرحا لها، سواء أكانت ذات بعد اجتماعي أو ثقافي أو مجالي. وفي ذلك استطاعت هذه المدرسة أن تقدم سلسلة واسعة من الدراسات النظرية والإمبريقية عن الحياة

الحضرية، التي ارتكزت أساسا في مدينة شيكاغو بفعل الحركة البشرية المهمة التي عرفتها نتيجة ارتفاع معدلات الهجرة القادمة إليها من كل بقاع العالم، وما صاحب ذلك من مشاكل راحت ضحيتها العديد من الأجناس البشرية.

1.روبرت بارك: نحو مدخل ايكولوجي لفهم المدينة:

جاءت هذه المدرسة بجامعة شيكاغو في قسم علم الاجتماع الذي كان تحث رئاسة "روبرت بارك Robert Ezra Park"، حيث ألح هذا الأخير على ضرورة النزول إلى الميدان لجمع المعطيات من خلال الملاحظة الشخصية الميدانية، فعبَر عن ذلك بنفسه قائلا:"عزمت على أن أخوض التجربة بنفسي(...)أن أفهم بنفسي مباهج الحياة ومآسيها(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص246). وفي هذا الصدد أشار "روبرت بارك" إلى أن المدينة ليست فقط مجالا تتجسد فيه الشوارع والمباني ووسائل المواصلات(...) ولا كمجموعة نظم إدارية ومصلحية من مدارس ومستشفيات ومحاكم(...) بل إنها فوق ذلك كله، تجسيد لنمط ثقافي منظم لعادات وسلوكيات متجذرة بين عناصر المجموعات المتحضرة(محمد سلام شكري، 2010، ص21). وفي ذلك كتب عام 1916 للمجلة الأمريكية لعلم الاجتماع مقالا مهما يحمل عنوان "المدينة: اقتراحات لدراسة السلوك الإنساني في المحيط المديني"، حيث شدد فيه على ضرورة دراسة الحياة المدينية وثقافتها بواسطة عدد معين من التقنيات والوسائل الملائمة لظاهرة وموضوع الدراسة، حيث اعتبر المدينة بمثابة مكانا مناسبا لدراسة الحياة الاجتماعية، بمعنى أن فهم المدينة ودراستها وتحليلها، يعتبر عملا علميا وميدانيا لفهم ما يميز المجتمع الحضري المعاصر من مشاكل وتحديات. فالحياة في المدينة حسبه تُنتج طرقا جديدة للحياة ونماذج جديدة من التعاملات، وأنه على علماء الاجتماع أن يكتشفوا هذه الأشكال الجديدة من مدنهم بنفس الطريقة التي درس بها علماء الأنثربولوجيا القبائل البدائية(السيد عبد العاطي، 1993، ص56).

وقد اهتم "بارك" أيضا بمسألة التكيف داخل المدينة أو بثقافة المدينة بشكل عام، فقد اعتبر أن التكيف الاجتماعي يوازيه تنظيم مجالي بطريقة طبيعية أو عن غير قصد، بحيث يصبح للمدينة تنظيم مجالي من التجهيزات الاجتماعية والثقافية ووسائل النقل والحدائق والمساكن، بالموازاة مع تنظيمها الأخلاقي، إذ تتشكل في المدينة قيم أخلاقية وجماعية خاصة بها، وهو ما يسميه إيميل دوركايم "بالوعي الجمعي"(مهذان امحمد، 2013، ص12). ومن جهة أخرى يتحدث "روبرت بارك" عن أربع مراحل أساسية في عملية التكيف والتي تخضع لعملية تتابعية وهي(الان كولون، 2012، ص54-55): المرحلة الأولى: الجوار، وهي علاقات أولية وأساسية ومنتشرة في العالم كله، لكنها تتميز بغياب الوساطة الاجتماعية ما بين الأفراد الذين يرتبطون على أساس اقتصادي فيما بينهم وتسمى كذلك مرحلة التنافس، أما المرحلة الثانية فتتميز بتباعد المسافات الاجتماعية التي تفصل بين الحضريين وتقلص فرص التقائهم والتي يطلق عليها إسم الصراع، ثم تأتي مرحلة التكيف حيث تتجه المجموعات الاجتماعية نحو الاختلاط والتمازج، والتي تمثل الجهد الذي ينبغي أن يبدله الأفراد والجماعات من أجل التوافق مع الأوضاع الاجتماعية التي تنتج عن المرحلتين السابقتين، وأخيرا مرحلة التمثل التي تتلاشى من خلالها الفوارق بين الجماعات وتختلط وتندمج فيها كل الفئات.

2.لويس ويرث: الحضرية كأسلوب حياة:

إلى جانب "روبرت بارك" يُعتبر "لويس ويرث louis wirth " كذلك من أهم رواد هذه المدرسة الذين عالجوا مسألة التكيف وخصوصا في حديثه عن أن الحضرية كأسلوب حياة، حيث حاول "لويس ويرث" صياغة مقاربة ثقافية لظاهرة التمدن، فتحدث في مقاله "الظاهرة الحضرية كأسلوب حياة" عن معايير وقيم الفاعلين الحضريين التي تعتمد بالأساس على التفاعل الاجتماعي ما بين الفاعلين، لذلك دعا إلى ضرورة أخذ بعين الاعتبار الإطار المجالي والاجتماعي معا لتحليل الممارسات والظواهر الحضرية، ذلك لأن المدن تشكلت فوق مجال جديد ومن مجتمع جديد وغير منسجم(مهذان امحمد، 2013، ص17).

هكذا فتحليل لويس ويرث للحياة الاجتماعية داخل المدينة أخذ توجها نفسيا واجتماعيا، حيث يصبح للمدينة بشكلها الايكولوجي ثقافة حضرية خاصة وفريدة، في خلاف التوجه الايكولوجي الذي أخذ به "بارك". وبالتالي فالتحضر هنا يجب فهمه كسلوك ثقافي واعي يتجسد خلال ممارسة الأفعال داخل الحياة المدينية.

بناءا على ما سبق لا أحد يمكن له أن ينكر القيمة المعرفية والنظرية التي قدمتها هذه المدرسة لفهم ظاهرة المدينة ومشاكل وتحديات التكيف معها، غير أنه وأمام كل هذا الزخم والتراث المعرفي الغني لا يمكن القول بأن هذه المدرسة لم تسلم من انتقادات كانت الوجه السلبي في بعض أعمالها؛ من قبيل تركيزها في معظم تحليلاتها على تلك الصورة المتشائمة التي قدمتها حول حياة المدينة، ويرجع هذا التصور في نظر الكثير من الباحثين إلى عاملين: أولهما طبيعة السياق الذي كتبت فيه عناصر هذا التراث المعرفي؛ إذ إن رؤية المدن تنمو على نحو سريع ومضطرد واستشعار المشاكل التي ترتبت على ذلك جعلت رواد المدرسة يفهمون المدينة في ذاتها على أنها سببا مباشرا لتلك الأمراض أو ما يطلق عليه بالباثولوجيا الاجتماعية، أما العامل الثاني فيرجع إلى أن كل الرواد قد صورا أعمالهم من منظور شخصي فردي، حتى أننا قد لا نجد واحدا منهم يقوم بجمع المنظورات المختلفة في تحليل شمولي لدراسة المدينة(السيد عبد العاطي، 1993، ص61).

إن المتأمل إذن في هذا الإرث المعرفي والميداني الذي قدمته مدرسته شيكاغو لا يمكن له أن ينكر أهميته، غير أن ذلك لا يمنعنا من القول أن أخذه كنمط مثالي، أو كنموذج مثالي -كما تحدث فيبر- وتطبيقه على باقي مدن العالم لا يخلو من الصعوبة، باعتبار أن مدينة شيكاغو التي كانت مسرحا لهذا العمل تكونت بفعل عوامل وأسباب خاصة، بل ومن جنسيات مختلفة، الأمر الذي يفرض علينا كباحثين أن نتعامل مع هذا الإرث بحذر ابستمولوجي، لأن عوامل تشكل التمدن في مدننا تختلف حتما عن عوامل تمدن مدن أمريكا.

خاتمة:

إن الحديث عن موضوع التحضر والتمدن من الصعوبة بما كان، وذلك راجع من وجهة نظرنا إلى أمرين، أولا بحكم أن هذا الموضوع كُتب حوله ولازال الكثير، وثانيا بحكم أن التحضر كظاهرة تتطور يوما عن يوم، لذلك فإن الإحاطة بها زمنيا وفكريا من الصعوبة بما كان، لذلك فإننا حولنا من خلال هذا المقال المتواضع، تتبع مسار التفكير في هذا الموضوع ومساءلته قد

الإمكان، فقد تبين أن العودة إلى الدراسات السوسيولوجية الكلاسكية أمرا ضروريا للوقوف على الموضوع، فاستحضرنا في ذلك أهم زوايا النظر التي قدمها علماء الاجتماع الأوائل، حيث تحدثنا في ذلك على التمدن وصراع الثنائيات، من خلال تبيان الخلفية الفكرية والنظرية التي تحكمت في علماء الاجتماع الأوائل، حيث اعتمدوا في جل دراساتهم حول التمدن والمدينة على مقارنتها بالبادية، سواء من حيث البنية المجالية وخصائصها، أو من خلال طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في كل منهما، أو طبيعة الحياة بصفة عامة، فتم الوقوف من خلال ذلك على أهم الاختلافات الموجودة بينهما(البادية والمدينة). لكن ومع ظهور الفكر الفيبري(ماكس فيبر)، سنجد أنفسنا أمام مقاربة أخرى للتمدن والمدينة، حيث استحضر في ذلك أبعادا مختلفة، كالبعد التاريخي والاقتصادي، ليكون بذلك فيبر، قدم لنا نموذجا مثاليا على حد تعبيره للمدينة.

لكن مع تطور الفكري السوسيولوجي تم النظر من جديد في بناءه النظري والمنهجي، فبفعل مجموعة من الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفا، ظهرت في أمريكا وبالضبط في شيكاغو، مدرسة جديدة تسمى"بمدرسة شيكاغو"، أحدثت ثورة فكرية في العلم الاجتماعي؛ حيث توجهت مباشرة إلى محاولة تقصي وفهم الواقع المديني، وخاصة بعد الأحداث والوقائع الكبرى التي عرفتها أمريكا والعالم آنذاك، بفعل الهجرة. لذلك دعا رواد المدرسة إلى تبني مقاربات جديدة تعتبر الميدان المصدر الوحيد للمعرفة، حيث سخر في ذلك رواد هذه المدرسة كل الإمكانات والدلائل المنهجية لفهم الميدان واستيعابه، معتبرين إياه مصدر بناء المعرفة الاجتماعية.

لكن إذا أردنا أن نتأمل اليوم في واقعنا المعاش، فسنجزم بأن الوضع تغير بشكل كبير عن سنوات التسعينات وبداية الألفية الثانية، فاليوم أصبح العالم بأكمله يعيش على نسب عالية جدا في مستويات التمدن، بل نجد بعض المناطق تغيب فيها حياة الريف والبادية، ولعل ذلك راجع بالأساس إلى مغريات الحياة المدينية التي أصبحت تجدب الصغير قبل الكبير، هذا التحول في بنية المجال أثر بشكل كبير على البنيات السوسيوثقافية، فأصبحنا اليوم نعيش أزمة تحضر وتمدن سواء على مستوى المجال أو على مستوى الثقافة، لأن التحضر وكما سبق الذكر لا يقاس فقط بالتطور العمراني والبنيات التحتية، بل كذلك بالمستوى الثقافي، أو بدرجة أصح بطبيعة الدهنيات وطرق التفكير. لذلك يبدو اليوم بأننا في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في مدننا وفق مقاربات علمية جديدة تهدف إلى فهم وتحليل الحياة داخل المدن وفق مقاربات متعددة ومتكاملة.

قائمة المراجع:

1.بوتمورتوم(1978)، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة الجوهري(محمد) وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

2.بوشنفاتي بوزيان(1988)، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي.

3.الحسيني السيد(2000)، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

4.حمادة مصطفى(1993)، المدن الجديدة دراسة في الانتربولوجية الحضرية، دار الهدى للمطبوعات.

5.دينكن ميتشل(1981)، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة.

6.السيد عبد العاطي(1993)، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات نظرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

7.عبد الرحمان بن خلدون(1996)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي، ا.م. كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت.
8.عبد الله إبراهيم(2001)، علم الاجتماع، المركز الثقافي العربي.
9.غيث محمد عاطف(1975)، دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع، دار النهضة العربية.
10.كولون الان(2010)، مدرسة شيكاغو، ترجمة مروان بطش، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات.
11.مصطفى خلف عبد الجواد(2002)، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
12.مهذان امحمد(2013)، نظريات سوسيولوجية معاصرة، جامعة ابن زهر، أكادير.
13.Beckinsale, R, and Houston, J(1968), Urbanization and Its Problems, Bsil Blackwell.
14.Bergel(1955), Urban Socology, McGrow-Hill Book Company, New York.
15.Castelle M(1974), la question urbaine, In: Revue française de sociologie.
16.Louis Wirth(1938), Urbanism as a way of life , The American Journal of Sociology, Vol , 44, No 1.
17.Robert Ezra Park(1984), la ville comme laboratoire social, in l école de Chicago, naissance de l'écologie urbaine, textes traduits et présenter par Yves Grafmeyer et Isaac Joseph, 2éme éd, champ urbain-aubier, paris.
18.Robert Park et Roderick D. Mckenzie(1925), The City, Unv of Chicago, press.
19.W.Thomas et F.Znaniecki(1927), The polish Peasant in Europe and America, New York, Knopf, 2éme éd, vol2.
20.Weber max(1982), La ville, traduit de L'Allemand par Philipe Fritsch, Ed Aubier Montaigne, paris.